كما أن الحكم على أهمية دراسات جرانكفيست يظل حكما ناقصا ما دام أن هناك عشرات الالاف من البطاقات التي جمعت الباحثة عليها مادتها والتي ما زالت « غير مصنفة وغير منشورة » . وكذلك فانا لم نطلع على المادة الفولكلورية الفلسطينية التي نشرتها جرانكفيست بالفنلندية والسويدية .

ان أبحاث جرانكفيست تتسم بانها أبحاث انتروبولوجية ، ومع ذلك فالمادة الفولكلورية وفيرة جدا وان كانت هذه المادة قد جاءت جنبا لجنب مع دراسات يمكن ان توصف بأنها اجتماعية او دينية. وللوهلة الاولى فقد يخيل للدارس ان جرانكفيست تخلط بين الجوانب الفولكلورية من الدين وبين الدين الرسمي . ولكن هذا الوهم سرعان ما يزول اذا ما نظرنا لتلك الابحاث من وجهة النظر الانتروبولوجية .

ولما كانت جرانكفيست قد جاءت أصلا الى فلسطين لجمع مادة مقارنة عن المرأة في عهد التوراة فقد ظلت ابحاثها تدور في فلك المرأة في الوسط الشعبي مع خروج طفيف على هذا المبدأ . ولذلك قليلا ما نجد هناك معلومات عن « فولكلور الرجال » كما أن دراسة جرانكفيست للفنون اليدوية وعينات التراث الشعبي المادية تظل دراسة عرضيةكتبت أصلا لتخدم أبحاثا تتعلق بالولادة والزواج والوفاة وفولكلور المرأة بشكل عام .

ومن جهة اخرى فان دراسة جرانكفيست تخدم قضية الشعب الفلسطيني بصفته شعب طرد من أرضه واضطهد وبذلت جهود مركزة لمحو شخصيته الوطنية . ولكن هذه الخدمة لم تأت بأسلوب مباشر ولكن عن طريق اثبات عراقة تراث الشعب وارتباطه بالارض .

لقد دفعت الامانة العلمية جرانكفيست الى أن تميز بين ما جمعته من أفواه الرواة وما جمعته من مادة مقارنة عن طريق العمل المكتبي . أما ما جمعته من أفواه فقد وضعته كما هو وان كان يبدو في بعض الاحيان مختلفا أو متناقضا . ويمكن تبرير ذلك على أن المادة المنقولة عن المصادر الشفوية تسجل بعض الاختلافات نظرا لتلونها بوجهات نظر افراد متباينى الانطباعات . ان كل ذلك يدفع على احترام ذلك العمل العظيم الذي قامت به الباحثة الفنلندية والتي لم يفتها ان تعزز كتبها بهوامش وفهارس، تسهل الوصول الى كل فقرة من فقرات الدراسة بكل سهولة ويسر . كما انها تركت أمام الباحث الذي يرغب في ان يتصدى لدراسة مثل هذا البحث كشفا ضخما من الكتب والمجلات الدورية التي تعينه على فهم موضوعه . وفي كثير من الحالات فانها تدون اقتباسات من تلك الكتب والمجلات بما يبرز وجهة النظر الرئيسية او الافكار الاساسية لتلك الموضوعات .

وتبقى الاهمية العظمى للمادة التي جمعتها جرانكفيست في انها قامت بتدوين مادة فولكلورية في العقد الثالث من هذا القرن وتعود في عمرها الى عدة عقود سابقة ، تلك المادة التي جمعت بصيغتها الخام وبأسلوب علمي يحمي المادة من التزييف والعبث وفي وقت لم يكن هناك احد من الباحثين الفولكلوريين أبناء البلاد قد تصدى لدراسة التراث الوطني بأسلوب علمي او غير علمي .

وغدا ، عندما تنشر بالعربية محتويات ذلك الارشيف الذي أعدته جرانكفيست والذي لم يصنف ولم ينشر بعد ستتضح مدى اهمية ذلك العمل العلمي العظيم الذي وضعت تلك الباحثة الرائدة أسسه في وقت مبكر جدا من عمر البحث الفولكلوري .

**نمر سرحان**